الخطاب الديني على شبكات التواصل الاجتماعي في إفريقيا جنوب الصحراء:

القضايا والتحديات والتأثير

أ. ربيع محمد محمود

باحث ماجستير متخصص في الشؤون الإفريقية

تكشف تجارب العقدين الماضيين عن مدى مساهمة شبكات التواصل الاجتماعي- الافتراضية- في تطور المجتمعات البشرية، اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وما إلى ذلك، إذ لم يعد دورها مقتصراً على تمكين التواصل الإلكتروني بين الناس فحسب، بل أصبحت أدوات رئيسية فعّالة في نشر وتبادل التجارب والقيم والأفكار والمعتقدات.

ومع تزايد استخدامات الشبكات الافتراضية نشأت فرص وتحديات أمام الفاعلين والمؤثرين في المجال الديني؛ ما يتطلب إعادة النظر في كيفية ملاءمة الخطاب الديني المطروح على هذه الشبكات لقضايا المجتمعات المختلفة، خاصةً تلك التي تشهد تفاعلات سياسية ودينية وإثنية وثقافية، على غرار مجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.

وتكشف الملاحظة التجريبية والإحصاءات الرقمية ومراجعة الأدبيات ذات الصلة بموضوع الخطاب الديني على شبكات التواصل في إفريقيا جنوب الصحراء عن جملة من المفارقات الرقمية، أبرزها معاناة مجتمعات الأفارقة من ضعف الوصول إلى شبكات الإنترنت، مع صدارة بعضها- عالمياً- في استخدام الشبكات الافتراضية.

هذه المفارقة يمكن تفسيرها بأن تبنّي شبكات التواصل يختلف بشكلٍ كبير من مجتمع إفريقي إلى مجتمعٍ آخر، ما قد يفرض بدوره اختلافات جذرية في كيفية طرحٍ قضايا الخطاب الديني على هذه المجتمعات عبر الشبكات الافتراضية، خاصةً بعد مساهمتها في كسر احتكار المؤسسات الدينية والدعاة التقليديين للخطاب الديني، وتقديمها منابر رقمية لظواهر شبابية باتت تُعرف بـ«الدعاة الجدد»، و«البلوجرز»، و«التيك توكرز»، و«اليوتيوبرز»، وغيرها من المسميات المرتبطة بالشبكات الافتراضية المختلفة.

الإشكالية البحثية:

تسعى هذه الدراسة إلى معالجة الإشكالية البحثية المتمثلة في التعرف على ماهية الخطاب الديني وديناميّاته على شبكات التواصل في إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى، **وما ينبثق عنها من تساؤلات تحاول الإجابة عنها:**

- ما أبرز المؤشرات الرقمية لاستخدامات الإنترنت وشبكات التواصل في إفريقيا جنوب الصحراء؟
- كيف تطور الخطاب الديني في إفريقيا جنوب الصحراء، ومما تتشكل خريطة أديان المنطقة؟
- ما أبرز قضايا الخطاب الديني على الشبكات الافتراضية في إفريقيا جنوب الصحراء؟
- ما التحديات التي تواجه هذا الخطاب؟
- إلى أي مدى يمكن أن يؤثر الخطاب الديني في معتقدات وقيم وأفكار مستخدمي شبكات التواصل الاجتماعي في إفريقيا جنوب الصحراء؟ وكيف يمكن قياس هذا التأثير؟

ولتخطي إشكالية أين توجد حدود الخطاب الديني الافتراضي في إفريقيا جنوب الصحراء؛ تتبنّى الدراسة مفهوماً إجرائياً تراه مناسباً لأغراضها، بما قد يتيح إطاراً تحليلياً لفهم طبيعة وقضايا هذا الخطاب، ورصد التحديات التي يواجهها، وتقييم آثاره المجتمعية، كما يتيح المفهوم تجنب الدخول فيما يشبه حقل ألغام مفاهيمي، نظراً لتنوع وتعدد التعريفات التي تناولت مفهومي الخطاب الديني وشبكات التواصل في المعاجم اللغوية والأدبيات ذات الصلة.

وبذلك؛ يُقصد بالخطاب الديني على شبكات التواصل في هذه الدراسة أنه: المحتوى المنشور على شبكات التواصل على غرار فيسبوك ويوتيوب وإنستجرام.. إلخ، في شكل نصوص مكتوبة أو مصورة، هذا المحتوى يعبّر عن القيم والأفكار والمعتقدات والقضايا الدينية، التي تتداخل مع اهتمامات مجتمع الشبكة الافتراضية، ويتم قياسه عبر مؤشرات مختلفة، منها: نوعية المحتوى، ومستوى التفاعل، ونطاق الجمهور المستهدف.

ولتحقيق أغراض الدراسة والإجابة عن تساؤلاتها البحثية؛ تعتمد الدراسة على عدد من الأدوات والأساليب المنهجية، منها: أسلوب البحث النوعي بمراجعة الأدبيات ذات الصلة، وأسلوب دراسة الحالة، إلى جانب تحليل المحتوى للخطاب الديني على شبكات التواصل.

مراجعة الأدبيات:

ويتبين من مراجعة عدد من الأدبيات، ذات الصلة بموضوع الدراسة، الاهتمام الكبير الذي يوليه المتخصصون في دراسة الأديان المقارنة بدراسة الدين على شبكات التواصل في إفريقيا جنوب الصحراء، خاصةً النشاط الكنسي واللاهوت المسيحي، ونشاط الحركة الخمسينية في عموم القارة، مع ذلك ثمة ندرة في الأدبيات التي تناولت الخطاب الإسلامي عبر الشبكات الافتراضية في المجتمعات الإفريقية.

وتُعتبر دراسة الدين في الوسائط الرقمية الآن مجالاً بحثياً في حدّ ذاته، استناداً إلى عدة دراسات، خاصةً بشأن الإنجيليين والكاثوليك، لكن فيما يخص القارة الإفريقية فقد برزت أعمال بيرجيت ماير (٢٠٠٩م) بشكلٍ خاص عن قراءة العلاقة بين الإعلام والدين، وسبق أن سلطت روزالينـد هاكيت الضوء على الدور الرائد للكنيستين الإنجيلية النيجيرية والغانية في استخدام وسائل الإعلام الجديدة (١٩٩٨م).

هذا النوع من الدراسات نادراً في الكثير من البلدان الإفريقية، حيث تتركز دراسة وسائل الإعلام قبل كل شيءٍ على الأشكال التقليدية مثل الصحف المطبوعة، حيث سلطت دراسة استخدام وسائل الإعلام من قِبَل المنظمات الدينية الضوء بشكلٍ خاص على إنشاء محطات إذاعية وتلفزيونية[١].

ومن بين الأدبيات التي تناولت العلاقة بين الدين الإسلامي والمجتمعات الافتراضية في إفريقيا جنوب الصحراء؛ جاءت دراسة Abdulsalam Olalekan and Suraju Badmus, ٢٠٢٤[٢] لتسلط الضوء على استخدامات علماء مسلمين من اليوروبا في نيجيريا لشبكات التواصل، وخلصت إلى أن الخطاب الإسلامي على هذه الشبكات كانت له آثار إيجابية على المسلمين (المتابعين)، أبرزها: المساهمة في تعزيز التفاعل بين العلماء والجمهور، ومكافحة الإسلاموفوبيا، وتعزيز الأنشطة الخيرية، وتشجيع الآخرين على اعتناق الإسلام، وتمكين شباب المسلمين مجتمعياً وتعزيز هويتهم الدينية.

كما بحثت دراسة Issouf Binaté, ٢٠١٨[٣] في كيفية استخدام مسلمي كوت ديفوار لشبكات التواصل، بالتركيز على «فيسبوك»، وتوصلت إلى أن المسلمين الإيفواريين يدركون القيمة الكبيرة لهذه الشبكة، واستخدموها لأغراض متنوعة، منها: ممارسة الدعوة، ومشاركة المعلومات المتعلقة بالأعياد الدينية في التقويم الإسلامي، وتوجيه دعوات للسلام خلال فترات الاضطرابات الاجتماعية والسياسية، بالإضافة إلى استغلالها في الحملات الانتخابية.

أما دراسة Abdurahmnan Omar, ٢٠٢٠[٤] فتناولت دور «فيسبوك» في الاحتجاجات السلمية التي نظمها مسلمو إثيوبيا للمطالبة بحقوقهم الدينية بين عامي ٢٠١١م و٢٠١٥م، تحت شعار «دعوا أصواتنا تُسمع»، وركزت على دور هذه الشبكة في بدء وتنظيم واستدامة الحركة الإسلامية السلمية في إثيوبيا، وتوصلت إلى أن هذه الاحتجاجات كانت مثالاً معتبراً للحركات الإسلامية السلمية في منطقة شرق إفريقيا، كما أثبتت أن فيسبوك تُعدّ منصة قوية لتعبئة الحركات السلمية بنجاح عند استخدامه لتحقيق هدف مشترك.

وعن الاستخدامات الكنسية لشبكات التواصل؛ قدمت دراسة Noah Darko and Mariam Animante and Harry Akussah, ٢٠٢١[٥] تحليلاً تجريبياً لكيفية استخدام الكنائس الكاريزمية في غانا لشبكات التواصل

(١) Mйdias 2.0 et Йglises chrйtiennes au Burkina Faso -Йvangйlisation numйrique et contrфle du message- Louis Audet Gosselin.

(٢) Abdulsalam Olalekan and Suraju Badmus, Impacts of Dacwah Activities of Selected Muslim Scholars on Social Media Platforms on Yoruba Muslims, Maqolat: Journal of Islamic Studies Call for Content Articles, (Indramayu: Universitas Wiralodra Indramayu, Fakultas Agama Islam, Vol.2, No.3, 2024).

(٣) Issouf Binatй, Les musulmans de Facebook en Cфte d'Ivoire, en Pamela Millet-Mouity et Frйdйrick Madore (Йditeurs), Les acteurs religieux africains a l'иre du numйrique, Emulations-Revue de sciences sociales, (Louvain: Presses universitaires de Louvain, Issues 24, 2017).

(٤) Abdurahmnan Omar, The Ethiopian Muslims Protest in the Era of Social Media Activism (Master thesis), (Uppsala: Uppsala University, Department of Theology, 2020).

(٥) Noah Darko-Adjei and Mariam Ansaa Animante and Harry Akussah, Experiences and perception towards the use of social media for church activities among charismatic churches in Ghana, African Journal of Emerging (Johannesburg: Vol.3 Issues 2, May 2021).

في أنشـــطتها الكنسية، وتوصلت إلى أن هذه الكنائس كانت على مستوى عالٍ من الوعي بأهمية دور الإعلام الافتراضي في كيفية إدارة النشـــاط الديني والبرامج الكنسية اليومية، وخلصت إلى ضرورة تلقي قادة الكنيسة وأعضائها تدريبات دورية في استخدامات الشبكات الافتراضية نظراً لتطورها وتغيرها باستمرار.

في حين سلطت دراســـة Yotam Gidron, [١] ٢٠٢٤ الضوء على التأثير المتزايد لـ«لاهوت الصهيونية المسيحية» في إفريقيا، مع التركيز على كيفية تبنّي هذا اللاهوت من قِبَل الكنائس والمؤثرين الخمسينيين الأفارقة واليهود المسيانيين (حركة يهودية عرقياً مسيحية دينياً)، وتوضح أنه على الرغم من أن الصهيونية المســـيحية ليســـت ظاهرة جديدة؛ فإنها خلال العقـــد الماضي بدأت تؤثر بشـــكلٍ متزايد في الحياة الدينية والخطاب السياسي في العديد من أجزاء إفريقيا.

وخلصت الدراســـة إلى أن تأثير هذه المعتقدات يمتد إلى خارج الإطار الديني، وأن تأثير الصهيونية المســـيحية في إفريقيا يشمل: دعم إسرائيل سياسياً ومالياً عبر تنظيم حمـــلات وفعاليات من قِبَل الكنائس الخمســـينية، والتأثير في الأحزاب السياســـية في تبنّي مواقف مؤيدة لإسرائيل، وإدراج تعاليم الصهيونية المســـيحية في المناهج الدراسية للمعاهـــد اللاهوتية فـــي إفريقيا، وتبنّي مبـــادئ لاهوتية، أبرزهـــا: «الاعتقاد بأن قيام دولة إســـرائيل حدث مهم في تحقيق النبوءات التوراتية».

كما كانت مســـألة دور شبكات التواصل كأداة للتطرف وتجنيـــد الأتباع من قِبَل الجماعـــات المتطرفة، مثل حركة الشـــباب وبوكو حرام وتنظيم «داعش»، على رأس التحديات التـــي تواجه الخطاب الديني الافتراضـــي في إفريقيا، كما فـــي دراســـة Victor Idiedo and Bassil Posigha, [٢] ٢٠٢٤، التـــي تناولـــت أيضـــاً تحديات تواجـــه الخطاب الديني، بمـــا في ذلك ارتفـــاع تكلفة الاشـــتراك في حزم بيانـــات الإنترنت، وارتفاع أســـعار الهواتف الذكية، وضعف الاتصال بالإنترنت، وانخفاض معرفة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وانخفاض الوعي بوســـائل التواصل للأغراض الأكاديمية.

المحور الأول: المؤشرات الرقمية وتطور الخطاب الديني:

أولاً: المؤشرات الرقمية:

تُعبّر الإحصائيات الرقمية[٣] عن وجود فجوة كبيرة في استخدامات الإنترنت في البلدان الإفريقية مقارنةً بغيرها، مع ذلك ثمـــة مفارقة ملحوظة، تتمثل فـــي أنه على الرغم من عدم توفر خدمـــات الإنترنت لكثيرٍ من الأفارقة؛ فهناك أربعة بلدان من إفريقيا جنـــوب الصحراء تقع ضمن قائمة تضم أكثر عشرين دولة- على مستوى العالم- يقضي سكانها أوقاتاً أعلى يومياً على شبكات التواصل الاجتماعي.

واعتباراً من يناير ٢٠٢٤م بلغ عدد مستخدمي الإنترنت عالمياً حوالي ٥,٣٥ مليارات مستخدم، يمثلون أكثر من ٦٦٪ من تعداد سكان العالم المقدر بحوالي ٨,٠٨ مليارات نسمة، وقد تجاوز عدد مســـتخدمي وســـائل التواصل الاجتماعي النشطين عالمياً علامة ٥,٠٤ مليارات مستخدم[٤]، يمثلون

---

(١) Yotam Gidron, Africa's Christian Zionist Frontiers, Religion Compass journal)New Jersey: Wiley-Blackwell (Publisher) Volume 18, Issue 9 ,(September 2024.

(٢) Victor Idiedo and Bassil Posigha, Perspective Chapter: The Use of Social Media in Sharing Information in Sub-Saharan Africa Region – The Types, Purpose, Benefits and Challenges, in Shafizan Mohamed and Shazleen Mohamed (eds), Social Media - Opportunities and Risks, ((London: IntechOpen (Publisher(, 2024.

(٣) Simon Kemp, Digital 2024: Global Overview Report, (DataReportal – Global Digital Insights. (2024.
https://datareportal.com/reports/digital-2024-global-overview-report
- إحصائيات وسائل التواصل الاجتماعي: المستخدمون والإيرادات ٢٠٢٤م، Tridens Technology، على الرابط: https://bit.ly/40WOtl4

(٤) قد لا يمثل هذا العدد أفراداً فريدين، حيث إن الشخص نفسه قد يدير أكثر من «هوية مستخدم» واحدة على منصات التواصل الاجتماعي المتنوعة.

٦٢,٣٪ من تعداد سكان العالم، يقضي هؤلاء أيضاً قدراً هائلاً من الوقت في استخدام وسائل التواصل، حيث يقضي المستخدم «النموذجي» ساعتين و٢٣ دقيقة يومياً في استخدام وسائل التواصل، أي ما يعادل أكثر من ثلث إجمالي وقته على الإنترنت.

وفي إفريقيا جنوب الصحراء الكبرى؛ تُقدّر نسبة مستخدمي الإنترنت إلى إجمالي تعداد السكان في إقليم الجنوب الإفريقي بـ٧٣,١٪، وفي غرب إفريقيا بـ٤٢,٣٪، وفي وسط إفريقيا بـ٣٢,١٪، بينما شرق إفريقيا تُقدّر بـ٢٦,٧٪، وبذلك تُقدّر نسبة مستخدمي الإنترنت إلى إجمالي تعداد السكان في إفريقيا جنوب الصحراء بحوالي ٤٣,٦٪ (انظر: شكل ١).

وفيما يتعلق بقائمة البلدان صاحبة أعلى نسب من غير المتصلين بالإنترنت إلى إجمالي تعداد السكان، تتقدم خمسة بلدان من إفريقيا جنوب الصحراء هذه القائمة، وهي على الترتيب إثيوبيا بنسبة ٨١٪، ثم أوغندا بنسبة ٧٣٪، تليها الكونغو الديمقراطية بـ٧١٪، ثم تنزانيا بـ٦٨٪، ثم نيجيريا خامساً بنسبة ٥٥٪، والأخيرة تتمتع بمتوسط عالٍ عالمياً في الوقت الذي يقضيه الأفراد على وسائل التواصل.

شكل (١): نسبة مستخدمي الإنترنت وشبكات التواصل في إفريقيا جنوب الصحراء؛ إلى إجمالي تعداد السكان ٢٠٢٤م:

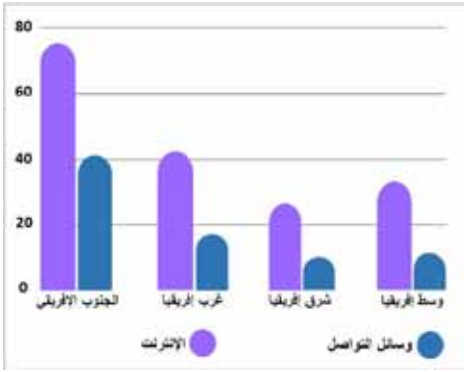

المصدر: (من إعداد الباحث).

وبالنسبة لتقديرات نسبة استخدام وسائل التواصل إلى إجمالي تعداد السكان في إفريقيا جنوب الصحراء؛ يأتي إقليم الجنوب الإفريقي في المقدمة أيضاً بنسبة ٤١,٦٪، وغرب إفريقيا بنسبة ١٥,٨٪، وشرق إفريقيا بنسبة ١٠,١٪، وتأتي وسط إفريقيا بنسبة ٩,٦٪، وهي تتذيل أيضاً ترتيب الأعلى استخداماً على مستوى العالم (انظر: شكل ١).

كما يبدو لافتاً وقوع أربعة بلدان من إفريقيا جنوب الصحراء في قائمة تضم أكثر عشرين دولة يقضي سكانها أوقاتاً أعلى يومياً على منصات التواصل، وهي: كينيا في المركز الأول بـ٣,٤٣ ساعات يومياً، وجنوب إفريقيا في الوصافة بـ٣,٤١ ساعات، ونيجيريا خامساً بـ٣,٢٥ ساعات، وغانا في المركز ١٥ بـ٢,٤٣ ساعتين.

في حين تقع ثماني دول إفريقية في قائمة الدول العشر الأقل استخداماً لوسائل التواصل عالمياً من بين ٢٢٣ دولة، وجميعها تقع في وسط وشرق إفريقيا، وتأتي خلف المتصدر: كوريا الشمالية، هذه الدول بالترتيب: إريتريا والنيجر وجمهورية إفريقيا الوسطى وتشاد وأوغندا وإثيوبيا والسودان ومالاوي.

شكل (٢): شبكات التواصل (فيسبوك، ويوتيوب، وإكس، وإنستجرام) الأعلى استخداماً في إفريقيا،
(الشهر الأعلى استخداماً في السنوات من ٢٠٢١ إلى ٢٠٢٤م):

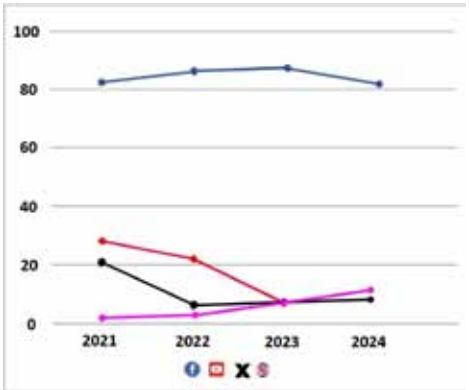

المصدر: (من إعداد الباحث).

أما منصات التواصل الأكثر استخداماً في إفريقيا جنوب الصحراء، فيُعدّ فيسبوك المنصة الاجتماعية الرائدة في إفريقيا والعالم، إذ إنه يجذب وحده أكثر من ثلاثة أرباع الزيارات مقارنةً بالمنصات الأخرى، ويأتي خلفه منصات: يوتيوب، ثم إكس (تويتر سابقاً)، ثم إنستجرام (انظر: شكل ٢).

بناءً على ما سبق؛ تشهد استخدامات وسائل التواصل

في إفريقيا جنوب الصحراء صدارة دولية في أقاليم وبلدان مختلفة؛ رغم التراجع الملحوظ إجمالاً في استخدامات وتوفر الإنترنت، وهذه المفارقة توضح أن تبنّي هذه الوسائل يختلف بشكلٍ كبير من بلدٍ إلى آخر داخل القارة، ما قد يفرض بدورهِ اختلافات جذرية في طرح قضايا الخطاب الديني وتحدياته وآثاره على هذه الشبكات الافتراضية.

ثانياً: تطور الخطاب الديني وخارطة الأديان:

ارتبط الخطاب الديني الإفريقي ارتباطاً وثيقاً- كما هو الحال في جميع أنحاء العالم- بوسائل الإعلام التقليدية والحديثة، على سبيل المثال: كانت وسائل الإعلام جزءاً لا يتجزأ من وجود المسيحية في إفريقيا منذ أن جلب المبشرون الأوائل المطابع معهم إلى القارة، ومنذ تسعينيات القرن العشرين عززت وسائل الإعلام المظاهر الدينية، حيث تتداخل الأبعاد الدينية مع القضايا المجتمعية والسياسية، وقد ساعد انتشار شبكات التواصل المجموعات والأفراد من مختلف الديانات في تأكيد حضورهم العام وجذب الجماهير، ما ساهم بدوره في توسيع المشاركة الجماهيرية[١].

وفي حين تُعدّ المجتمعات في الشمال والشرق والأجزاء الغربية من إفريقيا في الغالب إسلامية، مع انتشار المسيحية في الجنوب الإفريقي، فلا تزال الأديان التقليدية تُلقي بظلالها على مجتمعات القارة، وهو ما انعكس على تعامل الديانتين الإسلامية والمسيحية مع مجموعة من القيم والمعتقدات الإفريقية الراسخة في تقاليد هذه المجتمعات[٢].

عطفاً على ما سبق؛ يتبين أن إفريقيا تضم نوعين من الأديان: الأديان التقليدية والأديان الوافدة، وبينهما قواسم مشتركة تُعدّ في مجملها قبلية ومكوناً من مكونات الشعوب ما قبل الاستعمار، مع ملاحظة غياب تدوين الديانات الإفريقية التقليدية، مقارنةً على سبيل المثال بالطقوس الجنائزية المدوّنة على الآثار والمعابد المصرية القديمة؛ حيث الطقوس الإفريقية التقليدية في عمومها متوارثة شفاهةً، ما يعزز من صعوبة دراستها سوى عبر الملاحظة المباشرة لطقوسها[٣].

شكل (٣): الديانات الأكثر انتشاراً في إفريقيا جنوب الصحراء ٢٠٢٠م:

المصدر: (من إعداد الباحث)

ومن منظور إحصائي؛ فإن المسيحية هي الديانة الأكثر انتشاراً، واعتباراً من عام ٢٠٢٠م كان ٦٢٪ من مواطني إفريقيا جنوب الصحراء مسيحيين، تبعهم المسلمون بنسبة ٣١,٤٪، إلى جانب ما نسبته ٣,٢٪ يمارسون الديانات التقليدية، في حين يشكّل غير المنتسبين لأية ديانة ٣٪[٤]

(١) Marleen de Witte, Media Afrikania. Styles and Strategies of Representing «Afrikan Traditional Religion» in Ghana, in Rosalind I. J. Hackett and Benjamin F. Soares (eds), New Media And Religion Transformations in Africa, (Indiana: Indiana University Press, Chapter: 11, January 2015), p.207.

(٢) Gabriel Faimau, William O. Lesitaokana And Camden Behrens, Introduction in Gabriel Faimau, William O. Lesitaokana (eds), New Media and the Mediatisation of Religion: An African Perspective, (New castle: Cambridge Scholars Publishing, 2018), p.1:2.

(٣) موقع قراءات إفريقية، الأديان التقليدية في إفريقيا، ١٦ يناير ٢٠١٨م، على الرابط: https://bit.ly/3OhtjN2

(٤) Saifaddin Galal, Distribution of the population of Sub-Saharan Africa as of 2020, by religious

(انظر: شكل ٣)، مع ذلك ثمة ضرورة في التعامل بحذر مع هذه الأرقام نظراً لوجود شكوك تدور حول مصداقية الجهات المعنية بها، وكذا ما يدور حولها من اتهامات بالتحيز في كثيرٍ من الأحيان.

المحور الثاني: الخطاب الديني الافتراضي في إفريقيا جنوب الصحراء:

تُقدّم الدراسة في هذا المحور تحليلاً كميّاً وكيفيّاً لمحتوى الخطاب الديني على شبكات التواصل، بالتركيز في صفحات أربعة مؤثرين دينيين (إسلاميين، ومسيحيين) على موقع فيسبوك، يمثلون منطقتي الغرب والجنوب الإفريقي، لاعتبار مواطني المنطقتين الأعلى استخداماً لشبكات التواصل عن غيرهم في إفريقيا جنوب الصحراء.

ومعايير اختيار دراسات الحالة هي: المكانة الدينية، وتوافر حسابات على شبكات التواصل، خاصةً «فيسبوك»، مع ضرورة تحديثها بصفة دورية، وقد اقتصرت الفترة الزمنية لتحليل المحتوى على شهرٍ واحد (من ١ إلى ٣١ أكتوبر ٢٠٢٤م)؛ لاعتبارات ترتبط بحجم الدراسة، وصعوبة تناول كل متغيراتها داخل عمل أو مجال بحثي واحد، في حين جاء اختيار شبكة فيسبوك تحديداً باعتبارها المنصة الاجتماعية الرائدة في إفريقيا والعالم.

وقد استبعدت الدراسة خطاب الديانات الإفريقية التقليدية، إذ تبين ندرتها على شبكات التواصل في المجتمعات المحلية، وتبنيها في كثيرٍ من الأحيان من قِبَل أفارقة الشتات، إلى جانب ضعف التأثير، فنسبة من يؤمنون بهذه الديانات التقليدية تُقدّر بحوالي ٣٪ من إجمالي مواطني إفريقيا جنوب الصحراء (انظر: شكل ٣).

كما استبعدت الدراسة الخطاب الديني للجماعات المتطرفة، الإسلامية والمسيحية على السواء، لصعوبة الحصول على بيانات كمية تخص هذه الجماعات على الشبكات الافتراضية، في ضوء التضييق على خطابها وتقييد محتواها الرقمي.

يوضح الجدول رقم (١) شبكات التواصل التي تستخدمها دراسات الحالة في إفريقيا جنوب الصحراء، ويظهر التباين الكبير في استخدامات هذه الشبكات وعدد متابعيها، كما يؤكد مدى انتشار «فيسبوك» في مجتمعات الأفارقة والتركيز عليه مقارنةً ببقية الشبكات.

الجدول رقم (١): شبكات التواصل الاجتماعي لدراسات الحالة المشمولة بالوصف والتحليل:

الجهة	البلد	فيسبوك	يوتيوب	إكس (تويتر)	إنستجرام
مفتي زيمبابوي	زيمبابوي	نحو ٦,٣ ملايين متابع	نحو ٥,٦٧ ملايين مشترك	نحو ١٠,٧ ملايين متابع	نحو ١٠ ملايين متابع
الداعية عبد الحكيم	نيجيريا	نحو ٤١٢ ألف متابع	نحو ٥,٦٢ آلاف مشترك	نحو ١١٠٠ متابع	نحو ١٣ ألف متابع
كنيسة الفائزين	نيجيريا	٢,٩ مليون متابع تقريبا	٨٢٥ ألف مشترك	١,٧ مليون متابع تقريبا	١,٦ مليون متابع تقريبا
الراعي بوشيري	مالاوي	٥ ملايين متابع	٧٤٦ ألف مشترك	قرابة ألفي متابع	١,٦ مليون متابع تقريبا

المصدر: (من إعداد الباحث)

أولاً: الخطاب الإسلامي:

(١) مفتي مينك:

يشير الموقع الإلكتروني لإسماعيل بن موسى منك، مفتي زيمبابوي المعروف باسم «مفتي مينك»[(١)]، إلى كونه عالماً إسلامياً رائداً، وُلد ونشأ في زيمبابوي، درس الشريعة في المملكة العربية السعودية، وحصل على درجة الدكتوراه في الإرشاد الاجتماعي من جامعة ألديرسجيت في الفلبين، وأنه اكتسب شهرةً عالمية، وتم اختياره كواحد من «أفضل ٥٠٠ مسلم الأكثر تأثيراً في العالم» منذ عام ٢٠١٠م.

تحظى صفحة مفتي مينك على فيسبوك (يمتلك صفحات أخرى؛ منها صفحة مماثلة ذات متابعة كبيرة أيضاً باسم All About Islam) بمتابعة ما يزيد عن ٦ ملايين و٣٠٠ ألف متابع، بخلاف ملايين المتابعين على المنصات الأخرى (جدول ١)، قناته على يوتيوب تحظى باشتراك نحو

affiliation, statista, 30 Jun 2024. https://bit.ly/3ANtPPU

(١) الموقع الإلكتروني الرسمي لمفتي زيمبابوي، إسماعيل بن موسى مينك، على الرابط: https://muftimenk.com/

٦ ملايين مشـــترك، كما يتابعه على إنســـتجرام ١٠ ملايين متابـــع، وقرابة ١١ مليوناً على موقع إكس، وقرابة ١٢ مليوناً علـــى تيك توك، كما يتبين مـــن توصية[١] ٩٨٪ من آراء نحو ٨٠٠ متابـــع للصفحة، الأثر الكبير الـــذي تركه المفتي في شـــبكات التواصل، بمـــا في ذلـــك الدعـــوة لمتابعته بين مستخدمي هذه الشبكة.

وتمتاز رسالته على شبكات التواصل المختلفة بأسلوب خطابي ســـلس متنوع، يمزج بين الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمواعظ، ويضيف في محاضراته بعض الإسقاطات الفكاهية، كما ينوّع بين النصوص والفيديوهات والصور ذات الجودة العالية، واستخدام «الوسوم» (الهاشتاجات)، وغيرها من الأدوات التي تساهم في اســـتقطاب وجذب المتابعين، وكان متوسط النشر خلال الفترة المشمولة بالدراسة يُقدّر بحوالـــي ١,٥ منشـــور يومياً، مع تنويعه مـــا بين النصوص والصور ومقاطع الفيديو عالية الجودة والإبهار البصري.

في حين كان أبرز القضايا التي يركز عليها خطاب مفتي مينك تتمثل في:

١- المواعظ الدينية والإرشاد الأسري:

إذ لا يكاد يمر يـــوم دون أن يحمل خطابه وعظاً دينياً، والدعوة إلى نشـــر الخير، والإيمان بقـــدرة الله، كما تتركز خطاباته على الإرشاد الأسري، وحفظ الأسرة المسلمة من التفكك، والمعاملة الحسنة بين الزوجين.

٢- التذكير بقضايا الأمة الإسلامية، والتذكير بمحن المسلمين في غزة ولبنان وسوريا والسودان:

وبـــدَا تأثير هذا الخطـــاب لافتاً فـــي تفاعل ملايين المتابعين للصفحة مـــع هذه القضايا والتأثر بها، من خلال الإعجاب والتعليق والمشاركة، وتراوحت تعليقات المتابعين ما بين الدعاء للمســـتضعفين في غزة ولبنان والســـودان، وضرورة التذكير بقضاياهم ودعمهم والتضامن معهم.

كما يحظى خطاب «مفتي مينك» على فيســـبوك بقبول شبابي واسع، على سبيل المثال: وصل عدد المعجبين بمقطع فيديو قصير نشره يوم ١٢ أكتوبر ٢٠٢٤، يظهر فيه الداعية بجانب مجموعة من الشـــباب في زيارة له لزنجبار بتنزانيا، إلى حوالي ٣٠ ألفاً مع مئات التعليقات والمشـــاركات، وقد أضفى الشـــيخ ألفة على المتابعين من خلال اســـتخدامه وســـم (هاشـــتاج) «هاكونا_ماتاتا»، وهي من مفردات اللغة السواحلية، وتعني: «لا داعي للقلق».

وكان من بين التعليقات التي تؤكد تأثير الشيخ في الشباب:

- «مـــا شـــاء الله مفتـــي مينك، رؤية حمـــاس الجميع لمقابلتك مذهل، أنت مصدر إلهام للكثيرين، وتلمس القلوب».

- «أنت شـــخص رائع يا مفتي مينك، نحن شـــعب غانا نحبك كثيراً، يجمعنا الله معك في الجنة».

وفيما يتعلق بالتحديات التي يواجهها خطاب مفتي مينك الافتراضي؛ فإنهـــا تكاد تكون معدومـــة، بخلاف محاولات تقييـــد المحتوى، خاصةً المرتبـــط بقضايا «الصراع العربي الإســـرائيلي»، مع ذلك تبين مدى قدرة مديري الصفحة على المراوغة، عبر اســـتخدام كلمات وعبارات غير مباشـــرة لا تدركها «خوارزميات» فيسبوك لتقييد المحتوى، لكنها واضحة من حيث المعنى للمتابع بكونها مرتبطة بتلك القضايا.

أما خارج العالم الافتراضي؛ فقد سبق أن واجه الخطاب الديني لمفتي مينك تحديات دولية، منها تعرضه لانتقادات من جهات دولية بسبب آرائه حول القضايا الجندرية ورفضه الترويج للشـــذوذ الجنسي في المجتمعات المسلمة، وهو ما دفع جامعات غربية تتبنى هذه الســـلوكيات، مثل أوكسفورد وليفربول وليدز وغيرها، إلى إلغـــاء جولاته الأكاديمية عام ٢٠١٣م بعدما وصف آنذاك «مثليّ الجنس» بأنهم «قذرون»، وفي عام ٢٠١٧م تم حظره من دخول ســـنغافورة، وفي عام ٢٠١٨م حُظر من دخول الدنمارك أيضاً بسبب آرائه الدينية، وجُدد الحظر في نوفمبر ٢٠٢٣م[٢].

(٢) الداعية عبد الحكيم عبد اللطيف:

هو مسلم سُـــنّي وداعية يقيم في لاجوس بنيجيريا، له تأثيرٌ واسع على شبكات التواصل، وبخاصة فيسبوك (جدول ١) داخل نيجيريـــا الدولة المتعددة اللغات والأديان، والأكثر

(١) توصيات بمتابعة صفحة مفتي مينك على فيسبوك، على الرابط: https://www.facebook.com/muftimenk/reviews

(٢) The Official Web Portal of the Rules for entry and residence in Denmark. https://nyidanmark.dk/pl-PL/Words-and-concepts/US/Religious-workers/Religious-preachers-with-entry-ban and: https://www.facebook.com/watch/?v=691200113022488

اكتظاظاً بالسكان في إفريقيا[١]، والتي تقع ضمن قائمة البلدان ذات أكبر ١٠ مجموعات مسلمة أو مسيحية في العالم، إذ لديها سادس أكبر عدد من السكان المسيحيين في العالم، وأيضاً خامس أكبر عدد من السكان المسلمين في العالم (تقديرات ٢٠١٥: ٢٠١٨)[٢].

يتبين من تحليل محتوى صفحة الداعية على فيسبوك تنويعه في النشر بين اللغتين الإنجليزية واليوروبا، واليوروبا واحدة من أكبر المجموعات العرقية اللغوية في إفريقيا جنوب الصحراء، وعلى رأس المجموعات العرقية الرئيسية في نيجيريا، ولها أيضاً امتدادات في بعض بلدان غرب إفريقيا مثل توجو وبنين وليبيريا وسيراليون.[٣]

وتمتاز صفحة الداعية النيجيري بضخ محتوى عالي الجودة (صور، ومقاطع فيديو، وبث مباشر عادةً ما يزيد عن ساعة، وأحياناً يصل إلى خمس ساعات)، مع ارتفاع حجم النشر اليومي، إذ وصل إجمالي منشوراته على مدار شهر أكتوبر ٢٠٢٤م إلى ٢١٠ منشورات، بمعدل ٧ منشورات يومياً.

وتركز الصفحة يومياً على موضوعات وقضايا أبرزها تفسير القرآن، مرّة بالنسخة الإنجليزية وأخرى بلغة اليوروبا، مع نشر الخطب والمحاضرات الدينية التي يقدم فيها مواعظ ترتبط غالباً بالإيمان بالقضاء والقدر، والإرشاد الأسري، وتوعية الشباب، كما لم يغب عن الصفحة الاهتمام بقضايا الوطن (نيجيريا) في دعوته للسلام المجتمعي، وتبنّي الحكم الرشيد وبناء الأمة الإسلامية، وشرح المعاملات التجارية من منظور إسلامي.

ويتخطى تأثير الخطاب الدعوي للداعية النيجيري عبد الحكيم حدود بلاده، وهو ما يتضح في تنويهه المتكرر عبر الصفحة عن جولات دعوية في البلدان المجاورة على غرار كوت ديفوار، التي نوّه في منشور له بأنه سيزورها في فبراير ٢٠٢٥م، وقابل التنويه تفاعلاً كبيراً من إيفواريين أظهروا ترحيبهم وانتظارهم لهذه الجولة، هذا الترحيب شمل تعليقات من المتابعين منها: «السلام عليك» و«الله أكبر»، إلى جانب الدعاء له بالخير.

ومن بين التحديات التي يواجهها خطاب الداعية النيجيري عبد الحكيم: الهجوم على محتوى الدعاة والمؤثرين المسلمين على فيسبوك، واتهام بعضهم بالترويج للتطرف والعنف، وهو ما يتضح فيما ذكره الداعية نفسه في منشور بتاريخ ٢١ أكتوبر، بالقول: «إلى جميع العلماء؛ أرجو أن تعذروا من يهاجمكم على مواقع التواصل، استمروا في الوعظ، لا تلهوا أنفسكم، لا تردوا على أحد».

وفي اليوم التالي ٢٢ أكتوبر؛ وجّه عبد الحكيم نصيحة للدعاة المسلمين بمنطقة اليوروبا بأن لا يتأثروا بمن يعارض وعظهم، وذلك عبر مقطع فيديو[٤] لاقى استحساناً كبيراً، شهده ما يزيد عن ٧٠ ألفاً من مستخدمي فيسبوك، وقد تبيّن من التعليقات التحديات التي يواجهها الدعاة المسلمون من اليوروبا في هذه المنطقة، ومنها التأثير السلبي لخطاب الدعاة المتشددين.

وجاء في هذا الفيديو، الذي حمل رسالة سلام، قول الداعية عبد الحكيم: «لا تشاركوا في الصراعات والاضطرابات، بل كونوا دائماً في صف الوفاق والوئام، اتبعوا الخير فقط ولا تشاركوا في الشر، السلام هو السبيل إلى النعمة والاستقرار...».

مع ذلك؛ جاءت ردود فعل تبين غضب بعض المتابعين من خطابات التشدد الديني في نيجيريا على فيسبوك- لم يتسن للباحث التأكد من صحتها، منها على سبيل المثال: رد

(١) Worldometers, Population of Nigeria (2024). https://www.worldometers.info/world-population/nigeria-population

(٢) The countries with the 10 largest Christian populations and the 10 largest Muslim populations. 10 countries with the largest Muslim populations, 2015 and 2060 | Pew Research Center Central Intelligence Agency (CIA), World Factbook, Nigeria, Page last updated: November 26, 2024. https://www.cia.gov/the-world-factbook/countries/nigeria/

(٣) Busari Jamiu Muhammad, Islam in Yoruba-land Southwest Nigeria: A Historical Review of its Advent and Impacts till Present Time, Al-Qanatir International Journal of Islamic Studies (Nilai: Usuli Faqih Research Centre PLT, Vol.33. No.1. January Issue 2024), p.43.

(٤) من خطاب الداعية عبد الحكيم عبد اللطيف ودعوته للسلام والوئام في بلاده، ٢٢ أكتوبر ٢٠٢٤م، على الرابط: https://bit.ly/4eUKQWb

إحـــدى المتابعات على فيديو الداعية: «لديك عقلية مميزة، أنت مختلف عن بقية علماء الإسلام.. كل هؤلاء أولوريبوروكو وأولوفو وأوايميسريري (مصطلحات بلغة اليوروبا تشير إلى أشـــخاص بلا فائدة أو مشاغبين) من الوعاظ جعلوا الناس يرون الإســـلام كدين مهـــدِّد.. الحقيقة البســـيطة هي أن نيجيريا تعتمد حرية الديـــن، وخصوصاً في أرض اليوروبا، لذا فإن تشويه دين الآخرين هو عمل إجرامي وعنيف».

ثانيا: الخطاب الديني المسيحي:

يتميز وضع المســـيحية في إفريقيـــا جنوب الصحراء باتجاهات طائفية مختلفة، تتمثل في التعايش بين مجموعات رئيســـية من الكنائس[١]؛ منها يعود إلى العصور المسيحية المبكرة مثل الكنيســـة الإثيوبية الأرثوذكسية، أو التي وُلدت من رحم العمليات التبشـــيرية الغربية زمن الاستعمار، على غرار الكاثوليكية والبروتســـتانتية والأنجليكانية، إلى جانب «جمعيات الله الخمسينية»، التي نشأت في الولايات المتحدة أواخر القرن ١٩، وبدأت تنتشر في إفريقيا في العقود الثلاثة الأولى من القرن العشرين.

في حين تركز الدراســـة على فئة «الكنائس الإفريقية الخمسينية»، التي استهدفت تكييف وإعادة إحياء الخمسينية الغربية مع إضفاء قيمة جديدة على الهوية الكنسية الإفريقية، هذه الفئة من الكنائس تنقسم إلى حالتين مختلفتين، الأولى تشكّلت عبر الانفصال عن الخمسينية الغربية التي تأسست في إفريقيا وشكّلت هوية إفريقية جديدة لا تشبه الخمسينية الأصلية، والثانية تشـــير إلى الكنائس الخمسينية المستقلة التي نشأت في إفريقيا وتســـتند فقط إلى عدة جوانب من عقيدة بعض الإنجيليين الغربيين.

ويحتل الخمســـينيون الأفارقة مركز النمو المســـيحي في القرن ٢١، ففي عام ٢٠٢٠م كان ربع المســـيحيين البالغ عددهم ٢,٥ مليار حول العالم من الخمسينيين/الكاريزميين، وكانت إفريقيا تتصدر معدلات النمو لهذه الفئة على مستوى العالم، وبالإضافة إلى قوتهم الســـكانية، انتقل الخمسينيون الأفارقة من الهامش إلى مركـــز النقاش في المجال العام، إذ يتضـــح تأثيرهم في إفريقيا جنـــوب الصحراء من خلال السياسة، والإعلام، والفنون[٢].

وفـــي عام ٢٠١٥م؛ قُدِّر عدد الخمســـينيين بنحو ٣٦٪ مـــن إجمالي المســـيحيين فـــي إفريقيا جنـــوب الصحراء المقدر عددهم آنذاك بـ٥٦٤,٥ مليون نســـمة، بعد أن كانت نســـبتهم عـــام ١٩٧٠م حوالي ١٣٪ فقط من المســـيحيين، وقد غذى هـــذا النمو الهائل عوامل، منهـــا: التحولات من الديانـــات الإفريقية التقليديـــة، والترجمات العامية للكتاب المقدس، والنمو السكاني الإجمالي، وتحسين أنظمة النقل والاتصالات، والتبشـــير من قِبَل الأفارقة أنفســـهم بدلاً من المبشرين الأجانب[٣].

وعمـــوم الكنائس الخمســـينية الإفريقيـــة تتراوح في الحجم بين كنائس صغيرة مكونة من بضع عشرات الأفراد، إلى الكنائس الضخمة التي لها عشـــرات الفروع في إفريقيا وخارجها، منها كنيسة وينرز شابيل Winners› Chapel التي تركز عليها الدراسة في تحليل الخطاب الديني.

(٣) كنيسة الفائزين:

تُعدّ كنيســـة «الفائزيـــن الدوليـــة» Winners Chapel International، المعروفـــة أيضـــاً باســـم Living Faith Church Worldwide واحدة من أكبر الكنائس الخمســـينية في إفريقيا جنوب الصحراء، يقع مقرها الرئيسي في ولاية أوجون، جنوب غربي نيجيريا، تأسســـت عام ١٩٨٣م، ومنذ ذلك الحين نمت لتكون شبكة كنسية واسعة الانتشار عالمياً،

(١) Josñe Ngalula, Some Current Trends of Christianity in Africa: Current Trends, nternational Review of Mission (Geneva: the World Council of Churches, Volume 106, Issue 2, December 2017), p.228-2031. https://doi.org/10.1111/irom.12182

(٢) Paul Mwangi and Kyama Mugambi, African Pentecostalism from an African Perspective, In: Andrew Eugene Barnes and Toyin Falola (eds) The Palgrave Handbook of Christianity in: Africa from Apostolic Times to the Present, Palgrave Macmillan, Cham (publisher), 2024, p.607. https://doi.org/10.1007/978-3-031-48270-0_39

(٣) Nimi Wariboko, Pentecostalism in Africa, Oxford Research Encyclopedia of African History, 2017, p.5. https://doi.org/10.1093/acrefore/9780190277734.013.120

ويعود تأسيسها إلى الأسقف النيجيري ديفيد أويديبو[1].

وللكنيسة ورعاتها والمؤسسات التابعة لها العديد من المواقع الإلكترونية والحسابات والصفحات الافتراضية، وهي تحظى بمتابعة واسعة على شبكات التواصل، إذ يوضح الجدول رقم (١) متابعتها على شبكة فيسبوك من قِبَل قرابة ثلاثة ملايين متابع، ويشترك في قناتها على يوتيوب قرابة الألف مشترك، إلى جانب متابعتها على منصة إكس من قِبَل ١,٧ مليون متابع، وهو عدد يزيد قليلاً عن متابعيها على منصة إنستجرام، كما تحظى صفحة القس ديفيد أويديبو الشخصية على فيسبوك بمتابعة قرابة مليون متابع، كما أن زوجته Faith Abiola Oyedepo تحظى هي الأخرى بمتابعة قرابة مليون شخص، حيث تُعدّ واحدة من أبرز السيدات المؤثرات في الحركة الخمسينية الإفريقية.

صفحة الكنيسة على فيسبوك نشرت خلال فترة التحليل من ١ إلى ٣١ أكتوبر ٧٥ منشوراً بمعدل ١,٥ منشور يومياً، ومن حيث الشكل تركز على الصور ومقاطع الفيديو والبث المباشر عالية الجودة، واستخدام الوسوم في تبنّي القضايا التبشيرية والفعاليات الدينية، ويبدو لافتاً كذلك تركيزها على عروض وحفلات الرقص والغناء.

ويتبين من فحص مضمون ما تنشره الصفحة، خلال فترة الدراسة، التحديث اليومي لمنشوراتها على فيسبوك، واستنادها في خطابها الافتراضي على إستراتيجية رعوية تركز على الدعوة لحضور فعالية دينية منتظمة يومياً أو أسبوعياً، كالدعوة إلى صلوات الأحد أو التواصل الروحي، وتبنيها خطاباً يركز بشكل مكثف على «التبشير الديني»، وتشجيع المؤمنين بها على المشاركة وحضور المناسبات الدينية.

وقد كان لافتاً عند التحليل أن راعي الكنيسة وقساوستها أثناء صلاتهم الكاريزمية يصفون أنفسهم أنهم يمتلكون روح الله في أجسادهم، وعلى الرغم من أن حديثهم قد يبدو للمتابع «مجازياً» فإنهم يقدمونه باعتباره واقعياً، وهو ما يتفق مع ما جاء على الموقع الإلكتروني للكنيسة بأن القس أويديبو: «بعد رؤية استمرت ١٨ ساعة، تم استدعاؤه لتحرير العالم من جميع أشكال اضطهاد الشيطان من خلال التبشير بكلمة الإيمان».

على سبيل المثال: كررت صفحة الكنيسة على فيسبوك نشر منشورات تدّعي قدرة راعي الكنيسة على الشفاء، هذه المنشورات تعبّر في سياقها عن «حضور الله»، مع توجيهها دعوة صريحة لحضور فعاليتها الدينية:

You can take your healing at Shiloh, Come desperate, come expectant come ready! Come meet with the Great Physician of all times, Jesus at Shiloh **2024**.

كما تتبنى هذه الكنيسة- وغيرها من كنائس الحركة الخمسينية- خطاباً يركز على التفسير اللاهوتي للفقر والازدهار، من خلال التبشير بـ«إنجيل الرخاء»، الذي يقول إن الله يريد أن يكون الجميع أغنياء، ويربط بين الإيمان (المسيحي) والثروة المادية والروحانية، وذلك عبر تسليط الضوء على حياة القساوسة الكاريزميين، على غرار منازلهم وسياراتهم بل حتى طائراتهم الفخمة الخاصة، كما تظهر مقاطع الفيديو والبث المباشر التي تنشرها الكنيسة على شبكات التواصل هذه المظاهر شديدة البذخ.

وقد يفسّر ذلك وضع راعي الكنيسة ومؤسسها الأسقف ديفيد أويديبو، كأغنى قس في نيجيريا وعموم إفريقيا، وأيضاً كثاني أغنى قس في العالم[2]، في وقت تعاني فيه نسبة معتبرة من مواطني نيجيريا من ارتفاع نسب الفقر، ما يثير بدوره تساؤلات حول أسباب تصاعد الفقر في إفريقيا جنوب الصحراء بالتوازي مع النمو السريع للمسيحية الخمسينية التي تركز على الرخاء!.

كما تُبدي الخمسينية انسجاماً أوثق مع «العقيدة اليهودية والحركة الصهيونية»، إذ تساهم في الترويج للكيان الإسرائيلي ودعمه عبر الفعاليات المختلفة، على سبيل المثال: يركز الخطاب الديني على شبكات التواصل لكنيسة «الفائزين» في نيجيريا وفروعها الأخرى في إفريقيا على الترويج لحدث «شِيلوهَ» Shiloh، الذي تقيمه الكنيسة ويحضره عشرات الآلاف من جميع أنحاء العالم، ويُعدّ

(١) الموقع الإلكتروني الرسمي لكنيسة الفائزين، على الرابط: https://shiloh2024.org/about

(٢) Top 10 Richest Pastors In Nigeria 2024, Net Worth, Expensive Cars They Own, https://carmart.ng/richest-pastors-in-nigeria-2024/?srsltid=AfmBOooqapcUqLdA1BOqxuDYwSmOTZ1m8yLpnMiujABtpzFeCn1L74Q0

برنامجاً سنوياً، تقول الكنيسة إنه: «أمر إلهي، تم تكليفه للأسقف أوديبو لتحرير شعب الله من العبودية وقيادتهم إلى الأرض الموعودة».

وفي إشارةٍ لا تخطئها العين يُسمّى المقر الرئيسي للكنيسة في نيجيريا باسم «أرض كنعان» CANAANLAND، كما أن كلمة «شِيلوهَ» تحمل الاسم نفسه لمنطقة قديمة تتبع مدينة «السامرة» في فلسطين، وقد تم ذكرها في الكتاب المقدس العبري والعهد القديم: «واجتمع بنو إسرائيل في شِيلوهَ، ونصبوا هناك خيمةَ الاجتماع، بعد أن أخضعوا الأرضَ كلها» (سفر يشوع ١٨:١ في العهد القديم).

وعادةً ما تركز منشورات الصفحة على الترويج لهذا الحدث السنوي، ومن بين المنشورات المطروحة على سبيل المثال: «يسوع يشفي جميع الحالات في شِيلوهَ»، و«يمكنك الحصول على شفائك في شِيلوهَ، تعالَ بشوق، تعال متوقعاً، وتعالَ مستعداً، التقِ بالطبيب الأعظم عبر الأزمنة، يسوع!»، «الشكر قوي جداً لدرجة أنه يمكن أن يعيد الموتى إلى الحياة، لا تدع أي قوة شيطانية تقلل من شأن السلاح الذي تحمله»، وغير ذلك من الخطابات التي تدّعي تحقيق المعجزات والتكلم بالألسنة التي يؤمن بها أتباع الخمسينية.

وثمّة تأثير ملحوظ للقضايا الدينية التي تتبناها الخمسينية في نيجيريا وخارجها، إذ إنها نجحت بدعوتها في بناء قاعدة كبيرة من الأتباع المؤمنين بها داخل إفريقيا وخارجها، من خلال الاستغلال الأمثل للإعلام الرقمي وشبكات التواصل، وتحفيزها الجمهور على المشاركة في برامجها على غرار حدث «شِيلوهَ»، وهو ما يتضح من التفاعل بالإعجاب والتعليق والمشاركة مع منشوراتها، خاصةً المرتبطة بهذا الحدث، كما يُعبّر تقييم صفحة الكنيسة على فيسبوك عن مدى اختراقها افتراضياً للمجتمعات في نيجيريا وغرب إفريقيا عموماً، إذ يوصي بمتابعتها ٨٨٪ من نحو ١٧٥٠٠ من الآراء التي قيمتها.

في المقابل؛ يتمثل التحدي الأبرز الذي تواجهه الكنيسة الخمسينية في ترجمة الوعود الروحانية التي تطرحها على المجتمعات الإفريقية إلى واقع ملموس، خاصةً فيما يتعلق بالرخاء وتحقيق معجزاتها التي تدّعيها، ومنها «إحياء الموتى».

(٤) الراعي بوشيري:

يُعدّ القس شيبرد بوشيري Prophet Shepherd Bushiri، الذي يُعرف بالراعي بوشيري، المولود في مالاوي، من رواد الأعمال في بلاده وإفريقيا، وصاحب نفوذ ديني واقتصادي قوي في الجنوب الإفريقي، وهو المؤسس والمشرف العام على كنيسة التجمع المسيحي المستنير The Enlightened Christian Gathering، وهي كنيسة كاريزمية يقع مقرها الرئيس في مالاوي، وينتشر أتباعها في أكثر من ٧٠ دولة عبر العالم، وتستضيف سنوياً تجمعات حاشدة، بما فيها فعاليات تُجرى في بلدان مجاورة، منها جنوب إفريقيا وبوتسوانا وتنزانيا وكينيا.

يسلّط الموقع الإلكتروني وشبكات التواصل التابعة للقس بوشيري الضوء على القضايا التي يتبناها، منها: «العمل الخيري والتعليم والصحة والزراعة، إلى جانب القيادة الروحانية والتبشير»[(١)]، في المقابل عادةً ما واجه الرجل اتهامات بـ«التربح من أموال المعجزات» و«الاحتيال المالي» و«الاعتداء الجنسي»[(٢)].

وللقس بوشيري نشاطٌ لافت على شبكات التواصل، خاصةً على فيسبوك، إذ يتابعه قرابة ٥ ملايين، وإنستجرام الذي يتفاعل معه عليه قرابة ١,٦ مليون متابع، ويمتاز المحتوى المقدم على هذه المنصات بالجودة والإبهار البصري، وينوّع في النشر ما بين النصوص ومقاطع الفيديو والبث المباشر والمقاطع المصورة القصيرة (ريلز)، التي تظهر عروضاً راقصة في الطقوس التبشيرية، كالتعميد بالمياه، وما يُعرف بـ«الزيت المقدس».

وتركز صفحة بوشيري- على غرار القس أوديبو- على الترويج لادعاء القدرة على تحقيق المعجزات والشفاء، وأنه يمتلك روح الله في جسده، كما يُنقل عنه قوله بعد ادعاءات بأنه قام بعلاج فيروس نقص المناعة البشري المكتسب (إيدز): «أنا مجرد رسول لعمل الله، الله يشفي الناس في

---

(١) الموقع الإلكتروني لكنيسة التجمع المسيحي المستنير، على الرابط: https://www.ecgchurch.org/prophet-shepherd-bushiri

(٢) Pumza Fihlani, Shepherd Bushiri: Meeting the man who «walks on air», BBC, 5 March 2018. https://www.bbc.com/news/world-africa-43245126

اجتماعاتنا»[١].

وعلى سبيل المثال: في مقطع فيديو مدته ١٢ دقيقة يظهر الراعي بوشيري أمام جمع من الناس وهو يدّعي القدرة على «طرد الأرواح الشريرة والأعمال الشيطانية»، هذا المقطع المنشور يوم ١٠ أكتوبر ٢٠٢٤م شاهده قرابة نصف مليون شخص على فيسبوك، ٢٣ ألفاً- تقريباً- منهم أُعجبوا به، وعلّق عليه ما يزيد عن ٢٢٠٠ شخص، وشاركه نحو ٧٠٠، هذه الأرقام تكشف مدى الأثر الذي يتركه خطاب بوشيري الديني على شبكات التواصل، إذ يتبين من مراجعة عدد من التعليقات الترحيب بعمله والثناء عليه، مقابل تعليقات تشكك في «معجزاته الخارقة وقدرته على الشفاء»[٢].

كما تشمل طقوس الصلاة التي يقدمها بوشيري جلسات مباشرة عامة مع المشاركين، وتتسم بحدوث حالات شبيهة بالهستيريا أو الدخول في غيبوبة، إذ إنه يدعو الأشخاص الذين يدّعون أنهم «ممسوسون بأرواح شريرة أو شياطين» للتقدم والحديث معه أمام الجمع من أجل «التحرر»، وخلال هذه الجلسات قد يرش عليهم مواد- لم يتسن للباحث معرفتها- ليركض هؤلاء الأشخاص بشكل هيستيري وهم يصرخون، بينما يسقط آخرون وهم يتدحرجون على الأرض، في الأخير يدّعي الجميع أن ما وقع يُعدّ دليلاً على أن التحرر الروحي قد حدث بالفعل.

هذا المشهد تكرر في أكثر من مرّة، منها مقطع فيديو تزيد مدته عن ٩ دقائق بتاريخ ٢٤ أكتوبر ٢٠٢٤م، شاهده قرابة مليون و٨٠٠ ألف على فيسبوك، أُعجب منهم قرابة ٣٨ ألفاً مع آلاف التعليقات والمشاركات الأخرى.

كما يدعم خطاب بوشيري على فيسبوك «الرواية الإسرائيلية في الصراع العربي الإسرائيلي»، ففي أثناء هجوم صاروخي إيراني على الأراضي المحتلة بتاريخ ١ أكتوبر ٢٠٢٤م، كتب على صفحته بموقع فيسبوك: «صلّوا لأجل إسرائيل»[٣]، كما يمكن ملاحظة ظهور علم إسرائيل من خلفه في العديد من مقاطع الفيديو التي تروّج لها الكنائس التابعة لكنيسته[٤].

دعوته إلى «دعم إسرائيل» شهدت تفاعلاً كبيراً من قِبَل متابعي الصفحة بعدد إعجابات تتخطى ١٢ ألفاً، ونحو ثلاثة آلاف تعليق، وقرابة ٢٧٠ مشاركة، الغالبية العظمى كانت مؤيدة له، منها: «نعم نصلي لأجل إسرائيل، إسرائيل صامدة لن تُهزم»، في مقابل بعض التعليقات التي اتهمت القس بالتحيز للجانب الإسرائيلي أو استنكار عدوانها على غزة ولبنان، منها على سبيل المثال: «هل من المفترض أن نصلي من أجل إسرائيل وحدها أم من أجل جميع الناس في تلك المنطقة؟!».

وبمراجعة قناة القس بوشيري على يوتيوب؛ يتبين ربطه بين الخطاب الديني وقضية الصراع العربي الإسرائيلي من منطلقات لاهوتية وتوراتية، كما في ظهوره خلال بث مباشر يوم ١٩ أكتوبر ٢٠٢٣م، أي بعد أقل من أسبوعين من هجوم حركات المقاومة الفلسطينية على مستوطنات غلاف غزة في العملية المعروفة باسم «طوفان الأقصى»، هذا المقطع شاهده قرابة ١٤٠ ألف شخص، وجاء بعنوان «أهمية الحرب في إسرائيل»، وتحدث فيه عن حروب آخر الزمان، مدعياً أنه سبق أن «تنبّأ بلسان الرب» بكل ما يحدث من حروب وتحالفات، إسرائيل تُعدّ طرفاً فيها[٥].

يوضح العرض الوصفي والتحليلي السابق وجود استثمار واضح من قِبَل الحركة الخمسينية وبكثافة في شبكات التواصل الاجتماعي، واستخدامهم المفرط للموسيقى وفنون الأداء والرقص التي تتخلل الخطب والصلوات وتعميد المسيحيين الجدد، كوسائل جذب للأتباع أو استقطاب غير المؤمنين بالخمسينية، مع استثمار الوجوه النسائية، بما في ذلك زوجات القساوسة المؤسسين لكنائس الخمسينية، كما يشكل «إنجيل الرخاء» جزءاً كبيراً

(١) Ibid.

(٢) مقطعا فيديو يظهران الراعي بوشيري وهو يدّعي «تحقيق المعجزات والشفاء وطرد الأرواح الشريرة»، ١٠ و٢٤ أكتوبر ٢٠٢٤م، على الرابطين: - https://bit.ly/41fHHwY - https://bit.ly/4eZPi6d

(٣) الراعي بوشيري يدعم إسرائيل، على الرابط: https://bit.ly/3ZlVVK6

(٤) ECG The Jesus Nation Church Mpika branch on Facebook (profile picture https://bit.ly/3AYnDoo

(٥) Prophet Shepherd Bushiri, THE SIGNIFICANCE OF THE WAR IN ISRAEL, youtube, 19 October 2023. https://www.youtube.com/watch?v=7VmU0z57s6k

من خطاب الخمسينية الإفريقية، الذي يتمحور حول كيفية تحقيق النجاح المادي والشفاء الجسدي من خلال «التبرك بالقساوسة الخمسينيين».

النتائج والتوصيات:

ختاماً؛ يمكن القول إن تنوع مضامين الخطاب الديني المطروحة على شبكات التواصل في إفريقيا جنوب الصحراء، وكذا تنوع أبعادها المحلية والقارية والدولية، قد يعود إلى العلاقات المعقدة داخل مجتمعات الأفارقة ثقافياً ودينياً وإثنياً، وخضوع الدين نفسه لتفسيرات متعددة تظهر في سياقات اجتماعية مختلفة، أو تُشكلها مبادرات فردية، أو تدعمها وتسنّها جهات ومؤسسات فاعلة محلياً وإقليمياً ودولياً.

وقد توصلت الدراسة إلى أن أبرز قضايا الخطاب الديني على شبكات التواصل في إفريقيا جنوب الصحراء، تشمل:

١- بالنسبة لقضايا الخطاب الإسلامي:

■ الفتاوى الدينية، وتحفيظ القرآن والسنة، ونشر اللغة العربية والمواعظ الإسلامية.

■ توعية الشباب، والإرشاد الأسري.

■ التفاعل مع القضايا المجتمعية من منظور إسلامي، على غرار الحكم الرشيد وبناء الأمة والمعاملات التجارية.

■ التعاطي مع قضايا الأمة الإسلامية الكبرى، على غرار الصراع العربي الإسرائيلي وأزمات السودان وسوريا ولبنان.

٢- أما قضايا الخطاب المسيحي (الخمسيني)، فتشمل:

■ التنصير والتبشير الرقمي.

■ التفسير اللاهوتي للفقر والازدهار، والترويج لـ«إنجيل الرخاء».

■ الانسجام مع أفكار الصهيونية العالمية، ودعم إسرائيل.

■ الترويج لتحقيق المعجزات والشفاء والتكلم بالألسنة، وحتى إحياء الموتى.

٣- بينما تتمثل أبرز التحديات التي تواجه الخطاب الديني:

■ التحديات التقنية، والفجوة الرقمية، والتنوع الإثني واللغوي والثقافي في المجتمعات الإفريقية، وداخل البلد الواحد منها.

■ تقييد المحتوى بالنسبة للخطاب الإسلامي، خاصةً المرتبط بقضايا الصراع العربي الإسرائيلي.

■ تحديات دولية، على غرار تعرض المؤثرين الإسلاميين لانتقادات، منها توجههم الرافض للترويج للشذوذ الجنسي في المجتمعات المسلمة.

■ تأثر الخطاب الإسلامي- الدعوي تحديداً- على شبكات التواصل بخطاب الجماعات والدعاة المتطرفين.

■ التحدي الأبرز الذي يواجه الخطاب الخمسيني يتمثل في ترجمة الوعود الروحانية التي يطرحها قساوسته على المجتمعات الإفريقية إلى واقع ملموس، خاصةً ما يتعلق بالرخاء وتحقيق المعجزات.

وعلى الرغم من تنوع التحديات التقنية والمجتمعية التي يواجهها الخطاب الديني الافتراضي؛ فإن تأثيره الإيجابي في المجتمعات الإفريقية يبقى مرهوناً بمراعاة القائمين عليه للتنوعات الإثنية والدينية واللغوية المختلفة، مع تطوير لغة الخطاب والاهتمام بوسائل الجذب والإبهار البصري على الشبكات الافتراضية المختلفة.

توصيات الدراسة:

وفي الأخير؛ توصي الدراسة الجهات المؤسسية الإسلامية في إفريقيا جنوب الصحراء والمؤثرين الإسلاميين؛ بضرورة بذل الجهود فيما يأتي:

١- التوظيف الأمثل لشبكات التواصل في الخطاب الديني، باعتبارها وسيلة تشهد تطورات متسارعة وسهلة الاستخدام وواسعة الانتشار.

٢- ضرورة أن تدمج هذه الجهات/المؤثرون بين التعاليم الإسلامية والعادات المحلية في خطابها الديني على الشبكات الافتراضية، مما يعزز من دور الإسلام كمكون ثقافي متجذر داخل هذه المجتمعات، وإبراز الصورة السمحة لهذا الدين.

٣- كما أن هناك مصلحة في تطوير الخطاب الإسلامي على شبكات التواصل، تتمثل في تضييق المجال أمام الحركات المتطرفة من جهة، ومن جهةٍ أخرى مجابهة التبشير الرقمي المتزايد للكنائس المسيحية في عموم القارة، خاصةً الحركات الخمسينية التي باتت تتماهى مع سرديات الصهيونية العالمية، وتدعم المساعي الإسرائيلية في اختراق المجتمعات الإفريقية ■